وكلم . ا أبصـ . رت عيذ . اك ذا لق . ب إلا ومعذ . اه أن فتشـ . ت ف . ي لقب . ي

فقال الملك أشرحوا للمزين حال هذا الأحدب وما جرى له في وقت العشاء وأشرحوا لـ ـه مـ ا حكـ ى النصراني وما حكى اليهودي وما حكى المباشر وما حكى الخياط فحكوا له حكايات الجميع فحـ رك المـ زين رأسه وقال والله أن هذا الشيء عجيب أكشفوا لي عن هذا الأحدب فكشفوا له عنه فجلس عند رأسـ ـه وأخـ ذ رأسه في حجره ونظر في وجهه وضحك ضحكاً عالياً حتى انقلب على قفاه من شدة الضحك وقال لكل موتة سبب من الأسباب وموتة هذا الأحدب من عجب العجاب يجب أن تؤرخ في السجلات ليعتبر بما مضي ومن هو آت فتعجب المالك من كلامه وقال يا صامت أحك لنا سبب كلامك هذا وهذ ا أدرك شـ ـهرزاد الصـ باح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك قال يا صامت أحكي لنا سبب كلامك هذا فقال يا ملـ ك وحـ ق نعمتك أن الأحدب فيه الروح ثم أن المزين أخرج من وسطه مكحلة فيها دهن ودهن رقبة الأحدب وغطاهـ ا حتى عرقت ثم أخرج كلبتين من حديد ونزل بهما في حلقه فالتقطتا القطعة السمك بعظمها فلما أخرجها رآها الناس بعيونهم ثم نهض الأحدب واقفاً على قدميه وعطس عطسة واستفاق في نفسه وملس بيديه على وجهـ ـه وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله فتعجب الحاضرون من الذي رآوه وعاينوه فضحك ملك الصـ ين حتـ ى غشي عليه وكذلك الحاضرون وقال السلطان والله أن هذه القصة عجيبة ما رأيت أغرب منها ثم أن السلطان قال يا مسلمين يا جماعة العسكر هل رأيتم في عمركم أحداً يموت ثم يحيا بعد ذلك ولـ ولا رزقـ ـه الله بهـ ذا المزين لكان اليوم من أهل الآخرة فإنه كان سبباً لحياته فقالوا والله أن هذا من العجب العجاب ثـ م أن ملـ ك الصين أمر أن تسطر هذه القصة فسطروها ثم جعلوها في خزانة الملك ثم خلع على اليهـ ودي والنصـ راني والمباشر وخلع على كل واحد خلعة سنية وجعل الخياط خياطه ورتب له الرواتب وأصلح بينه وبين الأحدب وخلع على الأحدب خلعة سنية مليحة ورتب له الرواتب وجعله نديمه وأنعم على المزين وخلع عليـ ـه خلعـ ة سنية ورتب له الرواتب وجعل له جامكية وجعله مزين المملكة ونديمه ولم يزالوا في ألذ عيش وأهناه إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات وليس هذا بأعجب من قصة الوزيرين التي فيها ذكر أنيس الجليس قـ ال الملك وما حكاية الوزيرين.

(حكاية الوزيرين التي فيها ذكر أنيس الجليس)

(قالت) بلغني أيها الملك السعيد أنه كان بالبصرة ملك من الملوك يحب الفقـ راء والصـ عاليك ويرفـ ق بالرعية ويهب من ماله لمن يؤمن بمحمد ﷺ وكان يقال لهذا الملك محمد بن سليمان الزيني وكان له وزيران أحدهما يقال له المعين بن ساوى والثاني يقال له الفضل ابن خاقان وكان الفضل بن خاقان أكرم أهل زمانـ ـه حسن السيرة أجمعت القلوب على محبته وأتفقت العقلاء على مشورته وكل الناس يدعون له بطول مدته لأنه محضر خير مزيل الشر والضير وكان الوزير المعين بن ساوى يكره الناس ولا يحب الخير وكان محضـ ر سوء وكان الناس على قدر محبتهم لفضل الدين بن خاقان يبغضون المعين بن ساوى بقدرة القادر ثم أن الملك محمد ابن سليمان الزيني كان قاعداً يوماً من الأيام على كرسي مملكته وحوله أرباب دولته إذ نادى وزيـ ره

النص الأدبي قديم
أدبي ليسانس
استاذة: زعيمي

الفضل بن خاقان وقال له أني أريد جارية لايكون في زمانها أحسن منها بحيث تكون كاملة في الجمال فائقة في الاعتدال حميدة الخصال فقال أرباب الدولة وهذه لا توجد إلا بعشرة آلاف دينار فعند ذلك صاح السلطان على الخازندار وقال أحمل عشرة آلاف دينار إلى دار الفضل ابن خاقان فامتثل الخازندار أمر السلطان ونزل الوزير بعد ما أمره السلطان أن يعمد إلى السوق في كل يوم ويوصي السماسرة على ما ذكره وأن لا تبتاع جارية ثمنها فوق الألف دينار حتى تعرض على الوزير فلم تبع السماسرة جارية حتى يعرضوها عليه فامتثل الوزير أمره واستمر على هذا الحال مدة من الزمان ولم تعجبه جارية فاتفق يوماً من الأيام أن بعض السماسرة أقبل على دار الوزير الفضل بن خاقان فوجده راكباً متوجهاً إلى قصر الملك فقبض على ركابه وأنشد هذين البيتين:

يا من أعادر مم الملك منشوراً ... أنت الوزير الذي لازال منصوراً لازال
أحييت ما مات بين الناس من كرم ... سعيك عند الله مشكوراً

ثم قال يا سيدي أن الجارية التي صدر بطلبها المرسوم الكريم قد حضرت فقال له الوزير على بها فغاب ساعة ثم حضر ومعه جارية رشيقة القد قاعدة النهد بطرف كحيل وخد أسيل وخصر نحيل وردف ثقيل وعليها أحسن ما يكون من الثياب ورضا به أحلى من الجلاب وقامتها تفضح غصون البان وكلامها أرق من النسيم إذا مر على زهر البستان كما قال فيها بعض واصفيها هذه الأبيات:

لها بشر مثل الحرير ومنطق ... رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر
وعينا كما قال الله كونا فكانتا ... فعولان بالألباب ما تفعل الخمر
فيا حبها زدني جوى كل ليلة ... ويا سلوة الأيام موعدك الحشر
ذوائبها ليل ولكن جبينها ... إذا أسفرت يوم يلوح به الفجر

فلما رآها الوزير أعجبته غاية الإعجاب فالتفت إلى السمسار وقال له كم ثمن هذه الجارية فقال وقف لسعرها على عشرة آلاف دينار وحلف صاحبها أن العشرة آلاف دينار لم تجيء ثمن الفراريج التي أكلتها ولا ثمن الخلع التي خلعتها على معلميها فإنها تعلمت الخط والنحو واللغة والتفسير وأصول الفقه والدين والطب والتقويم والضرب بالآلات المطربة فقال الوزير على بسيدها فأحضره السمسار في الوقت والساعة فإذا هو رجل أعجمي عاش زمناً طويلاً حتى صيره الدهر عظماً في جلد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجمي صاحب الجارية لما حضر بين يدي الوزير الفضل بن خاقان قال له الوزير رضيت أن تأخذ في هذه الجارية عشرة آلاف دينار من السلطان محمد بن سليمان الزيني فقال العجمي حيث كانت للسلطان فالواجب على أن أقدمها إليه هدية بلا ثمن فعند ذلك أمر الوزير بإحضار الأموال فلما حضرت وزن الدنانير للعجمي ثم أقبل النخاس على الوزير وقال عن أذن مولانا الوزير أتكلم فقال الوزير هات ما عندك فقال عندي من الرأي أن لا تطلع بهذه الجارية إلى السلطان في هذا اليوم فإنها قادمة من السفر وأختلف عليها الهواء وأتعبها السفر ولكن خلها عندك في القصر عشرة أقام حتى تستريح

فيزداد جمالها ثم أدخلها الحمام وألبسها أحسن الثياب وأطلع بها لي السلطان فيكون لك في ذلك الحظ الأوفر فتأمل الوزير كلام النخاس فوجده صواباً فإني بها إلى قصره وأخلي لها مقصورة ورتب لها كل يوم ما تحتاج إليه من طعام وشراب وغيره فمكنت مدة على تلك الرفاهية وكان للوزير الفضل بن خاقان ولدكان كالبدر إذا أشرق بوجه أقمر وخد أحمر وعليه خال كنقطة عنبر وفيه عذار أخضر كما قال الشاعر في مثله هذه الأبيات:

ورد الخ . دود ودون . ه ش . وك القذ . ا ... فم . ن المح . دث نفس . ه أن يحثد . ي

لا تم . دد الأي . دي إلي . ه فطالم . ا ... ش . نوا الح . روب لأن م . ددنا إلاعيد . ا

ي . ا قلب . ه القاس . ي ورق . ة خصر . ه ... ه . لا نقل . ت إل . ى هذ . ا م . ن هذ . ا

ل . و ك . ان رق . ة خصر . ه ف . ي قلب . ه ... ما ج . ار ق ط على المح ب ولا جد ي

ي . ا ع . اذلي ف ي حب . ه ك . ن ع . اذري ... م . ن ل ي بحش م ق د تملك . ه الضد نى

م . ا ال . ذنب إلا للف . ؤاد ون . اظري ... لولاه . ا م . ا كن . ت ف . ي ه . ذا العذ . ى

وكان الصبي لم يعرف قضية هذه الجارية وكان والده أوصاها وقال لها يا بنتي اعلمي أني ما اشتريتك الأسرية للملك محمد بن سليمان الزيني وأن لي ولداً ما خلا بصبية في الحارة إلا فعل بها فاحفظي نفسك منه وأحذري أن تريه وجهك أو تسمعيه كلامك فقالت الجارية السمع والطاعة ثم تركها وانصرف واتفق بالأمر المقدر أن الجارية دخلت يوماً من الأيام الحمام الذي في المنزل وقد حماها بعض الجواري ولبست الثياب الفاخرة فتزايد حسنها وجمالها ودخلت على زوجة الوزير فقبلت يدها فقالت لها نعيماً يا أنيس الجليس كيف حالك في هذا الحمام فقالت يا سيدتي ما كنت محتاجة إلا إلى حضورك فيه فعند ذلك قالت سيدة البيت للجواري قمن بنا ندخل الحمام فامتثلن أمرها ومضين وسيدتهن بينهن وقد وكلت بباب المقصورة التي فيها أنيس الجليس جاريتين صغيرتين وقالت لها لا تمكنا أحداً من الدخول على الجارية فقالتا السمع والطاعة فيهما أنيس الجليس قاعدة في المقصورة وإذا بابن الوزير الذي اسمه على نور الدين قد دخل وسأل عن أمه وعن العائلة فقالت له الجاريتان دخلوا الحمام وقد سمعت الجارية أنيس الجليس كلام على نور الدين بن الوزير وهي من داخل المقصورة فقالت في نفسها يا ترى ما شأن هذا الصبي الذي قال لي الوزير عنه – أنه ما خلا بصبية في الحارة إلا واقعها والله أني اشتهي أن أنظره ثم أنها نهضت على قدميها وهي بأثر الحمام وتقدمت جهة باب المقصورة ونظرت إلى علي نور الدين فإذا هو صبي كالبدر في تمامه فأورثتها النظرة ألف حسرة ولاحت من الصبي التفاته إليها فنظرها نظرة أورثته ألف حسرة ووقع كل منهما في شرك هوى الآخر فتقدم الصبي إلى الجاريتين وصاح عليهما فهربتا من بين يديه ووقفتا من بعيد ينظرانه وينظر أن ما يفعل وإذا به تقدم إلى باب المقصورة وفتحه ودخل على الجارية وقال لها أنت التي اشتراك لي أبي فقالت له نعم فعند ذلك تقدمت سيدة البيت إلى أنيس الجليس وقالت لها ما الخبر فقالت لها يا سيدتي أنا قاعدة وإذا بصبي جميل الصورة دخل علي وقال لي أنت التي اشتر الثاني لي فقلت نعم والله يا سيدتي أعتقدت أن كلامه صحيح فعند ذلك أتى إلي وعانقني فقالت لها هل فعل بك شيء غير ذلك قالت نعم وأخذ مني ثلاث قبلات فقالت ما تركك من غير افتضاض ثم بكت ولطمت وجهها هي والجواري خوفاً على علي نور الدين أن يذبحه أبوه فبينما هم

كذلك وإذا بالوزير دخل وسأل عن الخبر فقالت له زوجته أحلف أن ما قلته لك تسمعه قال نعم فأخبرته بما فعله ولده فحزن ومزق ثيابه ولطم على وجهه ونتف لحيته فقالت له زوجته لا تقتل نفسك أنا أعطيك من مالي عشرة آلاف دينار ثمنها فعند ذلك رفع رأسه إليها وقال لها ويلك أنا مالي حاجة بثمنها ولكن خوفي أن تروح روحي ومال فقالت له يا سيدي ما سبب ذلك قال لها أما تعلمين أن وراءنا هذا العدو الذي يقال له المعين بن ساوي ومتى سمع هذا الأمر تقدم إلى السلطان وقال له وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير قال لزوجته أما تعلمين أن وراءنا عدواً يقال له المعين بن ساوي ومتى سمع بهذا الأمر تقدم إلى السلطان وقال له أن وزيرك الذي تزعم أنه يحبك أخذ منك عشرة آلاف دينار واشترى بها جارية ما رأي أحد مثلها فلما أعجبته قال لأبنه خذها أنت حق بها من السلطان فأخذها وأزال بكارتها وها هي الجارية عنده فيقول الملك تكذب فيقول للملك عن أذنك أهجم عليه وآتيك بها فيأذن له في ذلك فيهجم على الدار ويأخذ الجارية ويحضرها بين يدي السلطان ثم يسألها فما تقدران تنكر فيقول له يا سيدي أنت تعلم أني ناصح لك ولكن مالي عندكم حظ فيمثل بي السلطان والناس كلهم يتفرجون علي وتروح روحي فقالت له زوجته لا تعلم أحداً وهذا الأمر حصل خفية وسلم أمرك إلى الله في هذه القضية فعند ذلك سكن قلب الوزير وطاب خاطره هذا ما كان من أمر الوزير (وأما) ما كان من أمر علي نور الدين فإنه خاف عاقبة الأمر فكان يقضي نهاره في البساتين ولا يأتي إلا في آخر الليل لأمه فينام عندها ويقوم قبل الصبح ولا يراه أحد ولم يزل كذلك شهراً وهو لم ير وجه أبيه فقالت أمه لأبيه يا سيدي هل تعدم الجارية وتعدم الولد فإن طال هذا الأمر على الولد هج قال لها وكيف العمل قالت له أسهر هذه الليلة فإذا جاء فأمسكه وأصطلح أنت وياه وأعطه الجارية فإنها تحبه وهو يحبها وأعطيك ثمنها فسهر الوزير طول الليل فلما أدنى ولده أمسكه وأراد نحره فأدركته أمه وقالت له أي شيء تريد أن تفعل معه فقال لها أريد أن أذبحه فقال الولد لأبيه هل أهون عليك فتغرغرت عيناه بالدموع وقال له يا ولدي كيف هان عليك ذهاب مالي وروحي فقال الصبي اسمع يا والدي مقال الشاعر:

هبني جنيت فلم تزل أهل النهي ... يهبون للحاني سكاناً شاملاً

ماذا عسى يرجو عدوك وهو في ... درك الحضيض وأنت أعلى منزلاً

فعند ذلك قام الوزير من على صدر ولده وأشفق عليه وقام الصبي وقبل يد والده فقال يا ولدي لو علمت أنك تتصف أنيس الجليس كنت وهبتها لك فقال يا والدي كيف لا أنصفها قال أوصيك يا ولدي أن لا تتزوج عليها ولا تضارها ولا تتبعها قال له يا والدي أنا أحلف لك أن لا أتزوج عليها ولا أبيعها ثم حلف له أيماناً على ما ذكر ودخل على الجارية فأقام معها سنة ونسي الله تعالى الملك قصة الجارية. واما المعين بن ساوي فإنه بلغه الخبر ولكنه لم يقدر أن يتكلم لعظم منزلة الوزير عند السلطان فلما مضت السنة دخل الوزير فضل الدين بن خاقان الحمام وخرج وهو عرقان فأصابه الهواء فلزم الوساد وطال به السهاد وتسلسل

به الضعف فعند ذلك نادى ولده على نور الدين فلما حضر بين يديه قال له ياولدي أن الرزق مقسوم والأجل محتوم ولا بد لكل نسمة من شرب كأس المتوفي وأنشدها هذه الأبيات:

م .ن فاتـ .ه المـ .وت لـ .م يفتـ .ه غـ .دا	والكل منـ ـا علـ ـى حـ ـوض الـ ـردى وردا
سوى العظـ م بمـ ـن قـ ـد كـ ـان محتقـ راً	ولـ ـم يـ ـدع هنـ ـة بـ ـين الـ ـورى أحـ .داً
لـ .م يبـ .ق مـ .ن ملـ .ك كـ .لا ولا ملـ .ك	ولا نبـ . .ي يعـ . .يش دائـ . .اً أبـ . .داً

ثم قال يا ولدي مالي عندك وصية ألا تقوى الله والنظر في العواقب وأن تستوصـ ـي بالجاريـ ـة أن يس الجليس فقال له يا أبت ومن مثلك وقد كنت معروفاً بفعل الخير ودعاء الخطباء لك على المنابر فقال يا ولدي أرجو من الله تعالى القبول ثم نطق بالشهادتين وشهق شهقة فكتب من أهل السعادة فعند ذلك امـ تلأ القصـ ر بالصراخ ووصل الخبر إلى السلطان وسمعت أهل المدينة بوفاة الفضل بن خاقان فبكت عليه الصـ بيان فـ ـي مكاتبها ونهض ولده على نور الدين وجهزه وحضرت الأمراء والوزراء وأرباب الدولة وأهل المدينة مشهده وكان ممن حضر الجنازة الوزير المعين بن ساوي وأنشد بعضهم عند خروج جنازته من الدار هذه الأبيات:

قـ .د قلـ .ت للرجـ .ل المـ .ولى غسـ .له	هـ .لا اطعـ .ت وكنـ .ت مـ .ن نصـ .حائه
جنبـ . .ه مـ . .اءك ثـ . .م غسـ . .له بمـ . .ا	أدرت عيـ . .ون المجـ . .د عنـ . .د بكائـ . .ه
وأزل مجـ . .اميع الحنـ . .وط ونحهـ . .ا	عنـ . .ه وحنط . .ه يطيـ . .ب ثنائـ . .ه
ومـ . .ر الملائكـ . .ة الكـ . .رام بحملـ . .ه	شـ . .رفاً ألسـ . .ت تراهـ . .وا بأزائـ . .ه
لاتـ . .وه أعنـ . .اق الرجـ . .ال بحملـ . .ه	يكفـ .ي الـ .ذي حملـ .وه مـ .ن نعمائـ .ه

ثم مكث على نور الدين شديد الحزن على والده مدة مديدة فبينما هو جالس يوماً من الأيام فـ ـي بيـ ـت والده إذ طرق الباب طارق فنهض على نور الدين وفتح الباب وإذا برجل من ندماء والده وأصحابه فقبل يـ ـد علي نور الدين وقال يا سيدي من خلف مثلك ما مات وهذا مصير سيد الأولين والآخرين ﷺ يا سيدي طـ ـب نفساً ودع الحزن فعند ذلك نهض على نور الدين إلى قاعة الجلوس ونقل إليها ما يحتاج إليه واجتمـ ـع عليـ ـه أصحابه وأخذ جاريته واجتمع عليه عشرة من أولاد التجار ثم أنه أكل الطعام وشرب الشراب وجدد مقاماً بعد مقام وصار يعطي ويتكرم فعند ذلك دخل عليه وكيله وقال له يا سيدي علي نور الدين أمـ ـا سـ ـمعت قـ ـول بعضهم من ينفق ولم يحسب أفتقر ولد أحسن من قال هذه الأبيات:

أصـ . .ون دراهمـ . .ي وأذنب عنهـ . .ا	لعلمـ . .ي أنهـ . .ا سـ . .يفي وترسـ . .ي
أأبـ . .ذلها إلـ . .ى أعـ . .دا الأعـ . .ادي	وأبـ .ذل فـ ـي الـ ـورى سـ ـعدي بنحسـ ـي
فيـ . .ا كلهـ . .ا ويشـ . .ربها هنيئـ . .اً	ولا يسـ . .خو إلـ . .ى أحـ . .د بفلـ . .س
وأحفـ .ظ درهمـ .ي عـ .ن كـ .ل شـ .خص	لئـ . .يم الطبـ . .ع لا يصـ . .فو لأنسـ . .ي
أحـ . .ب إلـ . .ى مـ . .ن قـ . .ول لذ . .ذل	أذ . .اني درهمـ . .اً لغـ . .د بخمـ . .س
فيعـ . .رض وجهـ . .ه ويصـ . .دعني	فتبقـ .ى مثـ .ل نفـ .س الكلـ .ب نفسـ .ي
فبـ . .اذل الرجـ . .ال بغـ . .رمـ . .ال	ولـ . .و كانـ . .ت فضـ . .ائلهم كشـ . .مس

ثم قال يا سيدي النفقة الجزيلة والمواهب العظيمة تفنى المال فلما سمع علي نور الدين من وكيله هذا الكلام نظر إليه وقال له جميع ما قلته لا أسمع منه كلمة فما أحسن قول الشاعر:

إذا ما ملكت المال يوماً ولم أجد ... فلا بسطت كفي ولا نهضت رجلي

فهاتوا بخيلاً مالهُ مجداً ببخله ... وهاتوا أروني باذلاً ماتَ من بذل

ثم قال اعلم أيها الوكيل أني أريد إذا فضل عندك ما يكفيني لغذائي أن لا تحملني هم عشائي فانصرف الوكيل من عنده إلى حال سبيله وأقبل على نور الدين على ما هو فيه من مكارم الأخلاق وكل من يقول له من ندمائه أن هذا الشيء مليح يقول هو لك هبة أو يقول سيدي أن الدار الفلانية مليحة يقول هي لك هبة ولم يزل على نور الدين يعقد لندمائه وأصحابه في أول النهار مجلساً وفي آخره مجلساً ومكث على هذا الحال سنة كاملة فبينما هو جالساً يوماً وإذا بالجارية تنشأ هذين البيتين:

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر

فلما فرغت من شعرها إذا بطارق يطرق الباب فقام على نور الدين فتبعه بعض جلسائه من غير أن يعلم به فلما فتح الباب رآه وكيله فقال له علي نور الدين ما الخبر فقال له يا سيدي الذي كنت أخافك عليك منه قد وقع لك قال وكيف ذلك قال اعلم أنه ما بقي لك تحت يدي شيء يساوي درهماً ولا أقل من درهم وهذه دفاتر المصروف الذي صرفته ودفاتر أصل مالك فلما سمع علي نور الدين هذا الكلام أطرق برأسه إلى الأرض وقال لاحول ولا قوة إلا بالله فلما سمع الرجل الذي تبعه خفية وخرج ليسأل عليه وما قاله الوكيل رجع إلى أصحابه وقال لهم انظروا أي شيء تعملون فإن علي نور الدين قد أفلس فلما رجع إليهم علي نور الدين ظهر لهم الغم في وجهه فعند ذلك نهض واحد من الندماء على قدميه ونظر إلى علي نور الدين وقال له ياسيدي أني أريد أن تأذن لي بالإنصراف فقال علي نور الدين لماذا الإنصراف في هذا اليوم فقال أن زوجتي تلد في هذه الليلة ولا يمكنني أن أتخلف عنها وأريد أن أذهب إليها وانظرها فأذن له ونهض آخر وقال له يا سيدي نور الدين أريد اليوم أن أحضر عند أخي فإنه يطاهر ولده وكل واحد يستأذنه بحيلة ويذهب إلى حال سبيله حتى انصرفوا كلهم وبقي علي نور الدين وحده فعند ذلك دعا جاريته وقال يا أنيس الجليس أما تنظرين ما حل بي وحكى لها ما قاله الوكيل فقالت يا سيدي من منذ ليال هممت أن أقول لك على هذا الحال فسمعتك تنشد هذين البيتن:

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها ... على الناس طرا قبل أن تتفلت

فلا الجود يفنيها إذا هي أقبلت ... ولا الشح يبقيها إذا هي ولت

فلما سمعتك تنشدهما سكت ولم أبد لك خطاباً فقال لها علي نور الدين يا أنيس الجليس أنت تعرفين أني ما صرفت مالي إلا على أصحابي وأظنهم لا يتركونني من غير مواساة فقالت أنيس الجليس والله ما ينفعونك بنافعة فقال علي نور الدين فأنا في هذه الساعة وأروح إليهم وأطرق أبوابهم لعلي أنال منهم شيئاً فأجعله في يدي رأس مال وأتجر فيه وأترك اللهو واللعب ثم أنه نهض من وقته وساعته ومازال سائراً حتى أقبل على الرقاق الذي فيه أصحابه العشرة وكانوا كلهم ساكنين في ذلك الزقاق فتقدم إلى أول باب فطرقه فخرجت له

جارية وقالت له من أنت فقال لها قولي لسيدك على نور الدين واقف على الباب ويقول لك مملوك ك يقب ل أياديك وينتظر فضلك فدخلت الجارية واعلمت سيدها فصاح عليها وقال لها ارجعي وقولي له ما ه و هذ ا فرجعت الجارية إلى علي نور الدين وقالت له يا سيدي أن سيدي ما هو هنا فتوجه على نور الدين وقال ف ي نفسه أن كان هذا ولد زنا وأنكر نفسه فغيره ما هو ولد زنا ثم تقدم إلى الباب الثاني وقال كما قال أولاً فأنكر الآخر نفسه فعند ذلك أنشد هذا البيت:

ذه . ب الـ . ذين إذا وقف . ت ببـ . ابهم منوا عليـ ك بمـ ا ترى دوا مـ ن الذ دى

فلما فرغ من شعره قال والله لابد أن امتحنهم كلهم عسى أن يكون فيهم واحد يقوم مقام الجميـ ع ف دار على العشرة فلم يجد أحداً منهم فتح الباب و لا أراه نفسه و لا أمر له برغيف فأنشد هذه الأبيات:

المـ رء فـ ي زمـ ن الأقبـ ال كالشـ جرة فالناس مـ ن حولهـ ا مـ ا دامـ ت الثمـ رة

حتـ ى إذا سـ قطت كـ ل الـ ذي حملـ ت تفرقـ . .وا وأرادوا غيرهـ . .ا شـ . .جرة

تبـ . اً لأبنـ . اء هـ . ذا الـ . دهر كلهـ . م فلم أجـ د واحـ داً يصـ فو مـ ن العشـ رة

ثم أنه رجع إلى جاريته وقد تزايد همه فقالت له يا سيدي أما قلت لك أنهم لا ينفعونك بنافعه وقال والله ما فيهم من أراني وجهه فقالت له يا سيدي بع من أثاث البيت شيئاً فشيئاً وأنفق فباع إلى أن باع جميع ما في البيت ولم يبق عنده شيء فعند ذلك نظر إلى أنيس الجليس وقال لها ما نفعل الآن فقالت له ياسيدي عندي من الرأي أن تقوم في هذه الساعة وتنزل بي إلى السوق فتبيعني وأنت تعلم أن والدك كان اشتراني بعشرة آلاف دينار فلعل الله يفتح عليك ببعض هذا الثمن وإذا قدر الله باجتماعنا نجتمع فقال لها يا أنيس الجليس ما يهـ ون على فراقك ساعة واحدة فقالت له ولا أنا كذلك لكن للضرورة أحكام كما قال الشاعر:

تلجيء الضـ رورات فـ ي الأمـ ور إلـ ى سـ . .لوك مـ . .الا يليـ . .ق بـ . .الأدب

مـ . ا حامـ . ل نفسـ . ه علـ . ى سـ . بب إلا لأمـ . . . ر يليـ . . . ق بالسـ . . . بب

فعند ذلك أخذ أنيس الجليس ودموعه تسيل على خديه ثم أنشد هذين البيتين:

قفـ .وا زودونـ .ي نظـ .رة قبـ .ل فـ .راقكم أعلـ . ل قلبـ . اً كـ . ادـ ب . البين يتلـ . فـ

فـ .إن كـ . ان تزويـ . دي بـ . ذلك كلفـ . ة دعـ . وني فـ . ي وجـ . دي ولا تتكلفـ . وا

ثم مضى وسلمها إلى الدلال وقال له أعرف مقدار ما تنادي عليه فقال له الدلال يا سيدي علـ ى نـ ور الدين الأصول محفوظة ثم قال له هي أنيس الجليس الذي كان اشتراها والدك منى بعشرة آلاف دينار قـ ال نعم فعند ذلك طلع الدلال إلى التجار فوجدهم لم يجتمعوا كلهم فصبر حتى اجتمع سائر التجار وامتلأ السـ وق بسائر أجناس الجواري من تركية ورومية وشركسية وجرجية وحبشية فلما نظر الدلال إلى ازدحام السـ وق نهض قائماً وقال يا تجار يا أرباب الأموال ما كل مدور جوزة ولا كل مستطيلة موزة ولا كل حمراء لحمـ ة ولا كل بيضاء شحمة ولا كل صهباء خمرة ولا كل سمراء تمرة يا تجار هذه الدرة اليتيمـ ة التـ ي لا تفـ ي الأموال لها بقية بكم تفتحون باب الثمن فقال واحد بأربعة آلاف دينار وخمسمائة وإذا بالوزير المعـ ين بـ ن سلوى في السوق فنظر على نور الدين واقفاً في السوق فقال في نفسه ما باله واقفاً فإنه ما بقي عنـ ده شـ يء

يشتري به جواري ثم نظر بعينه فسمع المنادي وهو واقف ينادي في السوق والتجار حوله فقال الوزير في نفسه ما أظنه إلا أفلس ونزل بالجارية ليبيعها ثم قال في نفسه أن صح ذلك فما أبرده على قلبي ثم دعا المنادي فأقبل عليه وقبل الأرض بين يديه فقال أني أريد هذه الجارية التي تنادي عليها فلم يمكنه المخالفة فجاء بالجارية وقدمها بين يديه فلما نظر إليها وتأمل محاسنها من قامتها الرشيقة وألفاظها الرقيقة أعجبته فقال له إلى كم وصل ثمنها فقال أربعة آلاف وخمسمائة دينار فلما سمع ذلك التجار ما قدر واحد منهم أن يزيد درهماً ولا دينار بل تأخروا جميعاً لما يعلمون من ظلم ذلك الوزير ثم نظر الوزير المعين بن ساوى إلى الدلالة وقال ما سبب وقوفك رح والجارية علي بأربعة آلاف دينار ولك خمسمائة دينار فراح الدلال إلى علي نور الدين وقال له يا سيدي راحت الجارية عليك بلا ثمن فقال له وما سبب ذلك قال له نحن فتحنا باب سعرها بأربعة آلاف دينار وخمسمائة فجاء هذا الظالم المعين بن ساوى ودخل السوق فما نظر الجارية أعجبته وقال لي شاور على أربعة آلاف دينار ولك خمسمائة وما أظنه ألاعرف أن الجارية لك فإن كان يعطيك ثمنها في هذه الساعة يكون ذلك من فضل الله لكن أنا أعرف من ظلمه أنه يكتب لك ورقة حوالة على بعض عملائه ثم يرسل إليهم ويقول لا تعطوه شيئاً فكلما ذهبت إليهم لتطالبهم يقولون في غد نعطيك ولا يزالون يعدونك ويخلفون يوماً بعد يوم وأنت عزيز النفس وبعد أن يضجوا من مطالبتك أياهم يقولون أعطنا ورقة الحوالة فإذا أخذوا الورقة منك قطعوها وراح عليك ثمن الجارية فلما سمع علي نور الدين من الدلال هذا الكلام نظر إليه وقال له كيف يكون العمل فقال له أنا أشير عليك بمشورة فإن قبلتها مني كان لك الحظ الأوفر قال تجيء في هذه الساعة عندي وأنا واقف في وسط السوق وتأخذ الجارية من يدي وتلكمها وتقول لها ويلك قد فديت يميني التي حلفتها ونزلت بك السوق حيث حلفت عليك أنه لا بد من أخراجك إلى السوق ومناداة الدلال عليك فإن فعلت ذلك ربما تدخل عليه الحيلة وعلى الناس ويعتقدون أنك ما نزلت بها إلا لأجل إبرار اليمين فقال هذا هو الرأي الصواب ثم أن الدلال فارقه وجاء إلى وسط السوق وأمسك يد الجارية وأشار إلى الوزير المعين بن ساوى وقال يا مولاي هذا مالكها قد أقبل ثم جاء علي نور الدين إلى الدلال عليك فأن فعلت ذلك ربما تدخل عليه الحيلة وعلى الناس ويعتقدون أنك ما نزلت بها إلا لأجل أبرار اليمين فقال هذا هو الرأي الصواب ثم أن الدلال فارقه وجاء إلى وسط السوق وأمسك يد الجارية وأشار إلى الوزير المعين بن ساوى وقال يا مولاي هذا مالكها قد أقبل ثم جاء على نور الدين إلى الدلال ونزع الجارية من يده ولكمها وقال ويلك قد نزلت بك إلى السوق لأجل إبراز يميني روحي إلى البيت وبعد ذلك لا تخالفيني فلست محتاجاً إلى ثمنك حتى أبيعك وأنا لو بعت أثاث البيت وأمثاله مرات عديدة ما بلغ قدر ثمنك فلما نظر المعين بن ساوى إلى علي نور الدين قال له ويلك وهل بقي عندك شيء يباع أو يشترى ثم أن المعين بن ساوى أراد أن يبطش به فعند ذلك نظر التجار إلى علي نور الدين وكانوا كلهم يحبونه فقال لهم ها أنا بين أيديكم وقد عرفتم ظلمه فقال الوزير والله لولا أنتم لقتلته ثم رمزوا كلهم لبعضهم بعين الإشارة وقالوا ما أحد منا يدخل بينك وبينه فعند ذلك تقدم على نور الدين إلى الوزير بن ساوى وكان علي نور الدين شجاعاً فجذب الوزير من فوق سرجه فرماه على الأرض وكان هناك معجنة طين فوقع الوزير في وسطها وجعل علي نور الدين يلكمه فجاءت لكمة على أسنانه فاختضبت لحيته بدمه وكان مع الوزير عشرة مماليك فلما رأوا نور الدين فعل

يسيدهم هذه الأفعال وضعوا أيديهم على مقابض سيوفهم وأرادوا أن يهجموا على علي نور الدين ويقطعوه وإذا بالناس قالوا للمماليك هذا وزير وهذا ابن وزير وربما اصطلحاً مع بعضهما وتكونون مبغوضين عند كل منهما وربما جاءت فيه ضربة فتموتون جميعاً أقبح الموتات ومن الرأي أن لا تدخلوا بينهما فلما فرغ علي نور الدين من ضرب الوزير أخذ جاريته ومضى إلى داره وأما الوزير ابن ساوى فإنه قام من ساعته وكان قماش ثيابه أبيض فصار ملوناً بثلاثة ألوان الطين ولون الدم ولون الرماد فلما رأي نفسه على هذه الحالة أخذ برشاً وجعله في رقبته وأخذ في يده حزمتين من حلفه وسار إلى أن وقف تحت القصر الذي فيه السلطان وصاح يا ملك الزمان مظلوم فأحضروه بين يديه فتأمله فرآه وزيره المعين بن ساوي فقال له من فعل بك هذه الفعال فبكي وأنتحب وأنشد هذين البيتين:

أيظلمني الزمان وأنت فيه ... وتأكلني الكلاب وأنت ليث

ويروي من حياض الموت صاد ... وأعطش في حماك وأنت غيث

ثم قال يا سيدي أهكذا كل من يحبك ويخدمك تجري له هذه المشاق قال له ومن فعل بك هذه الفعال فقال الوزير اعلم أني خرجت اليوم إلى سوق الجواري لعلي أشتري جارية طباخة فرأيت في السوق جارية ما رأيت طول عمري مثلها فقال الدلال أنها لعلي بن خاقان وكان مولانا السلطان أعطى أياه سابقاً عشرة آلاف دينار ليشتري له بها جارية مليحة فاشترى تلك الجارية فأعجبته فأعطاها لولده فلما مات أبوه سلك طريق الإسراف حتى باع جميع ما عنده من الأملاك والبساتين والأواني فلما أفلس ولم يبق عنده شيء نزل بالجارية إلى السوق على أن يبيعها ثم سلمها إلى الدلال فنادى عليها وتزايدت فيها التجار حتى بلغ ثمنها أربعة آلاف دينار فقلت اشتري هذه لمولانا السلطان فإن أصل ثمنها كان من عنده فقلت يا ولدي خذ ثمنها أربعة آلاف دينار فلما سمع كلامي نظر إلي وقال يا شيخ النحس أبيعها لليهود والنصارى ولا أبيعها لك فقلت أنا ما اشتريتها لنفسي وأنما اشتريتها لمولانا السلطان الذي هو ولي نعمتنا فلما سمع مني هذا الكلام اغتاظ وجذبني ورماني عن الجواد وأنا شيخ كبير وضربني ولم يزل يضربني حتى تركني كما تراني وأنا ما أوقعني في هذا كله إلا أني جئت لأشتري هذه الجارية لسعادتك ثم أن الوزير رمى نفسه على الأرض وجعل يبكي ويرتعد فلما نظر السلطان حالته وسمع مقالته قام عرق الغضب بين عينيه ثم التفت إلى من بحضرته من أرباب الدولة وإذا بأربعين من ضاربي سيف وقفوا بين يديه فقال لهم انزلوا في هذه الساعة إلى دار ابن خاقان وأنهبوها وأهدموها وأئتوني به وبالجارية مكتفين وأسحبوهما على وجوههما وائتوا بهما بين يدي فقالوا السمع والطاعة ثم أنهم نزلوا وقصدوا المسير إلي على نور الدين وكان عند السلطان حاجب يقال له علم الدين سنجر وكان أولاً من مماليك الفضل بن خاقان والد علي نور الدين لهما سمع أمر السلطان ورأى الأعداء تهيئوا إلى قتل ابن سيده لم يهن عليه ذلك فركب جواده وسار إلى أن أتى بيت علي نور الدين فطرق الباب فخرج له علي نور الدين فلما رآه عرفه وأراد أن يسلم عليه فقال سيدي ما هذا وقت سلام وكلام واسمع ما قال الشاعر:

ونفسك فر بها أن خفت ضيما ... وخل الدار تنعي من بناها

فإنك واجد أرضاً بأرض ... ونفسك لم تجد نفساً سواها

فقال علي نور الدين يا علم الدين ما الخبر فقال انهض وفز بنفسك أنت والجارية فإن المعين ابن ماوي نصب لكما شركاً ومتى وقعتما في يده قتلكما وقد أرسل إليكما السلطان أربعين ضارباً بالسيف والرأي عندي أن تهربا قبل أن يحل الضرر بكما ثم أن سنجر مد يده إلي على نور الدين بدنانير فعدها فوجدها أربعين دينار وقال له يا سيدي خذ هذه ولو كان معي أكثر من ذلك لأعطيتك أياه لكن ما هذا وقت معاتبة فعند ذلك دخل علي نور الدين على الجارية وأعلمها بذلك فتخبلت ثم خرج الأثنان في الوقت إلى ظاهر المدينة وأسبل الله عليهما ستره ومشيا إلى ساحل البحر فوجدا مركباً تجهزت للسفن والريس واقف في وسط المركب يقول من بقي له حاجة من وداع أو زواده أو نسي حاجة فليأت بها فإننا متوجهون فقال كلهم لم يبق لنا حاجة يا ريس فعند ذلك قال الريس لجماعته هيا حلوا الطرف واقلعوا الأوتاد فقال نور الدين إلى أين باريس فقال إلى دار السلام بغداد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الريس لما قال لعلي نور الدين إلى دار السلام مدينة بغداد نزل علي نور الدين ونزلت معه الجارية وعوموا ونشروا القلوع فسارت بهم المركب وطاب لهم الريح هذا ما جرى لهؤلاء (وأما) ما جرى للأربعين الذين أرسلهم السلطان فإنهم جاءوا إلى بيت علي نور الدين فكسروا الأبواب ودخلوا وطافوا جميع الأماكن فلم يقفوا لهما على أى خبر فهدموا الدار ورجعوا لو اعلموا السلطان فقال اطلبوهما في أي مكان كانا فيه فقالوا السمع والطاعة ثم نزل الوزير المعين بن ساوى إلى بيته بعد أن خلع عليه السلطان خلعة وقال لا يأخذ بثأرك إلا أنا فدعا له بطول البقاء واطمأن قلبه ثم أن السلطان أمر أن ينادي في المدينة يا معاشر الناس كافة قد أمر السلطان أن من عثر بعلي نور الدين بن خاقان وجاء به إلى السلطان خلع عليه خلعة وأعطاه ألف دينار ومن أخفاه أو عرف مكانه ولم يخبر به فإنه يستحق ما يجري عليه من النكال فصار جميع الناس في التفتيش على علي نور الدين فلم يعرفوا له أثرا هذا ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان من أمر علي نور الدين وجاريته فأنهما وصلا بالسلامة إلى بغداد فقال الريس هذه بغداد وهي مدينة أمينة قد ولى عنها الشتاء ببرده وأقبل عليها فصل الربيع بورده وأزهرت أشجارها وجرت أنهارها فعند ذلك طلع علي نور الدين هو وجاريته من المركب وأعطى الريس خمسة دنانير ثم سارا قليلاً فرمتهما المقادير بين البساتين فجاء إلى مكاناً فوجداه مكنوساً مرشوشاً بمصاطب مستطيلة وفوانيس معلقة ملآنة ماء وفوقه مكعب من القصب بطول الزقاق وفي صدر الزقاق باب بستان إلا أنه مغلق فقال على نور الدين للجارية والله أن هذا محل مليح فقالت يا سيدي أقعد بنا ساعة على هذه المصاطب فطلعا وجلسا على المصاطب ثم غسلا وجوههما وأيديهما واستلذا بمرور النسيم فناما وجل من لا ينام وكان البستان يسمي بستان النزهة وهناك قصر يقال له قصر الفرجة وهو للخليفة هارون الرشيد وكان الخليفة إذا ضاق صدره يأتي إلى البستان ويدخل ذلك القصر فيقعد فيه وكان القصر له ثمانون شباكاً ومعلقاً فيه ثمانون قنديلاً وفي وسطه شمعدان كبير من الذهب فإذا دخله الخليفة أمر الجواري أن تفتح الشبابيك وأمر اسحق النديم والجواري أن يغنوا لينشرح صدره ويزول همه وكان للبستان خولي شيخ كبير يقال له الشيخ إبراهيم واتفق أنه خرج ليقضي حاجة من أشغاله فوجد المتفرجين معهم النساء وأهل الريبة فغضب غضباً شديداً فصبر الشيخ أبراهيم حتى جاء عنده

الخليفة في بعض الأيام فاعلمه بذلك فقال الخليفة كل من وجدته على باب البستان أفعل به ما أردت فلما كان ذلك اليوم خرج الشيخ إبراهيم الخولي لقضاء حاجة عرضت له فوجد الأثنين نائمين على البس تان مغطي ين بازار واحد فقال أما عرفا أن الخليفة أعطاني إذنا أن كل من لقيته قتلته ولكن أنا أضرب هذين ضرباً خفيف اً حتى لا يتقرب أحد من باب البستان ثم قطع جريدة خضراء وخرج إليهما ووقع يده فبان بياض أبط ه وأراد ضربهما فتفكر في نفسه وقال يا إبراهيم كيف تضربهما ولم تعرف حالهما وقد يكونان غريبين أو من أبن اء السبيل ورمتهما المقادير هنا فأنا أكشف عن وجوههما وأنظر إليهما فرفع الأزار عن وجوههما وقال ه ذان حسنان لا ينبغي أن أضربهما ثم غطي وجوههما وتقدم إلى رجل علي نور الدين وجعل يكبسها ففـ تح عين ه فوجده شيخاً كبيراً فاستحى علي نور الدين ولم رجليه واستوى قاعداً وأخذ يد الشيخ فقبلها فقال له يا ول دي من أين أنتم فقال له يا سيدي نحن غرباء وفرت الدمعة من عينه فقال الشيخ إبراهيم يا ولدي اعلم أن النب ي ﷺ أوصى بإكرام الغريب ثم قال له يا ولدي أما تقوم وتدخل البستان وتتفرج فيه فينشرح صدرك فقال له نور الدين يا سيدي هذا البستان لمين قال يا ولدي هذا ورثته من أهلي وما كان قصد الشيخ إبراهيم بهذا الكلام إلا أن يطمئنا ويدخلا البستان فلما سمع نور الدين كلامه شكره وقام هو وجاريته والشيخ إبراهيم قدامهما فدخلوا البستان فإذا هو بستان بابه مقنطر عليه كروم وأعنابه مختلفة الألوان الأحمر كله يا ق وت والأس ود كأن ه أبنوس فدخلوا تحت عريشة فوجدوا فيها الأثمار صنوان وغير صنوان والأطيار تغرد بالحان على الأغصان والهزار يترنم والقمري ملا بصوته المكان والشحرور كأنه في تغريده إنسان والأشجار قد أينعت أثمارها من كل مأكول ومن فاكهة زوجان والمشمش ما بين كافوري ولوزي ومشمش خراسان والبرق وق كأن ه ل ون الحسان والقراسية تذهل عقل كل إنسان والتين ما بين أحمر وأبيض وأخضر من أحسن الألوان والزهر كأنه اللؤلؤ والمرجان والورد يفضح بحمرته خدود الحسان والبنفسج كأنه الكبريت دنا من النيران والآس والمنتور والخزامى مع شقائق النعمان وتكللت تلك الأوراق بمدامع الغمام وضحك ثغر الأقحوان وصار النرجس ناظر إلى ورد بعيون السودان والأترج كأنه أكواب والليمون كبنادق من ذهب وفرشت الأرض بالزهر من س ائر الألوان وأقبل الربيع فأشرق ببهجته المكان والنهر في خرير والطير في هدير والريح في صفير والزمان في اعتدال والنسيم في اعتلال ثم دخل بهما الشيخ إبراهيم القاعة المغلقة فابتهجوا بحسن تلك القاعة ومد فيها من اللطائف الغريبة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٩)

قالت بلغني أن الشيخ إبراهيم دخل القاعة ومعه علي نور الدين والجارية وجلسوا في بعض الشـ بابيك فتذكر علي نور الدين المقاساة التي مضت له فقال والله أن هذا المكان في غاية الحسن لقد فكرني بما مضـ ي وأطفأ من كربي جمر الغضى ثم أن الشيخ إبراهيم قدم لهما الأكل فأكلا كفايتهما ثم غسلا أيديهما وجلس نور الدين في شباك من تلك الشبابيك وصاح على جاريته فأتت إليه فصارا ينظران إلى الأشجار وقد حملت سائر الأثمار ثم التفت على نور الدين إلى الشيخ إبراهيم وقال له يا شيخ إبراهيم أما عندك شيء من الشـ راب لأن الناس يشربون بعد أن يأكلون فجاءه الشيخ إبراهيم بماء حلو بارد فقال له علي نور الدين ما هـ ذا الشـ راب الذي أريده فقال له أتريد الخمر فقال له نور الدين نعم فقال أعوذ بالله منها أن لي ثلاثة عشر عاماً ما فعلـ ت ذلك لأن النبي ﷺ لعن شاربه وعاصره وحامله هل يصيبك من لعنهم شيء قال لا قال خذ هـ ذين الـ ـدينارين وهذين الدرهمين وأركب هذا الحمار وقف بعيداً وأي إنسان وجدته يشتري فصح عليه وقل لـ ـه خـ ذ هـ ذين الدرهمين واشتر بهذين الدينارين خمراً وأحمله على الحمار وحينئذ لا تكون شارباً ولا حاملاً ولا عاصراً ولا يصيبك شيء مما أصاب الجميع فقال الشيخ إبراهيم وقد ضحك من كلامه والله ما رأيت أظـ رف مذ ـك ولا أحلى من كلامك فقال له نور الدين نحن صرنا محسوبين عليك وما عليك إلا الموافقة فائت لنا بجميـ ـع مـ ـا نحتاج إليه فقال له الشيخ إبراهيم يا ولدي هذا كراري قدامك وهو الحاصل المعد لأمير المؤمنين فأدخله وخذ منه ما شئت فإن فيه فوق ما تريد فدخل علي نور الدين الحاصل فرأى فيه أواني من الذهب والفضة والبللور مرصعة بأصناف الجواهر فأخرج منها ما أراد وسكب الخمر في البواطي والقناني وصـ ـار هـ و وجاريتـ ـه يتعاطيان واندهشا من حسن ما رأيا ثم أن الشيخ إبراهيم جاء لهما بالمشموم وقعد بعيداً عنهمـ ـا فلـ م يـ زالا يشربان وهما في غاية الفرح حتى تحكم معهما الشراب وأحمرت خدودهما وتغازلت عيونهمـ ـا واسـ ـترخت شعورهما فقال الشيخ إبراهيم مالي أقعد بعيداً عنهما كيف أقعد عندهما وأي وقت اجتمع في قصرنا مثل هذين الاثنين اللذين كأنهما قمران ثم أن الشيخ إبراهيم تقدم وقعد في طرف الأيوان فقال له علي نور الدين يا سيدي بحياتي أن تتقدم عندنا فتقدم الشيخ إبراهيم عندهما فملأ نور الدين قدحاً ونظر إلى الشيخ إبراهيم وقـ ـال لـ ـه اشرب حتى تعرف لذة طعمه فقال الشيخ أعوذ بالله أن لي ثلاث عشرة سنة ما فعلت شيئاً من ذلك فتغافل عنه نور الدين وشرب القدح ورمي نفسه في الأرض وأظهر أنه غلب عليه السكر فعند ذلك نظرت إليـ ـه أنـ يس الجليس وقالت له يا شيخ إبراهيم انظر هذا كيف عمل معي قال لها يا سيدتي ماله قالت دائماً يعمل معي هكذا فيشرب ساعة وينام وأبقى أنا وحدي لا أجد لي نديماً ينادمني على قدحي فإذا شربت فمن يعاطيني وإذا غنيت فمن يسمعني فقال لها الشيخ إبراهيم وقد حنت أعضاؤه ومالت نفسه إليها من كلامها لا ينبغي من النـ ـديم أن يكون هكذا ثم أن الجارية ملأت قدحاً ونظرت إلى الشيخ إبراهيم وقالت بحياتي أن تأخذه وتشربه ولا تـ ـرده فأقبله وأخبر خاطري فمد الشيخ إبراهيم يد وأخذ القدح شربه وملأت له ثانياً ومدت إليه ليدها به وقالت له يا سيدي بقي لك هذا فقال لها والله لا أقدر أن شربه فقد كفاني الذي شربته فقالت له والله لابد منه فأخذ القـ ـدح وشربه ثم أعطته الثالث فأخذه وأراد أن يشربه وإذا بنور الدين هم قاعداً. وأدرك شهرزاد الصـ ـباح فسـ ـكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علي نور الدين هم قاعداً فقال له يا شيخ إبراهيم أي شيء هـ ذا مـ ا حلفت عليك من ساعة فأبيت وقلت أن لي ثلاثة عشر عاماً ما فعلته فقال الشيخ إبراهيم وقد استحى مالي ذنب فإنما هي شددت على فضحك نور الدين وقعدوا للمنادمة فالتفتت الجارية وقالت لسيدها سراً يا سيدي أشـ رب ولا تحلف على الشيخ إبراهيم حتى أفرجك عليه فجعلت الجارية تملأ وتسقى سيدها وسيدها يملأ ويسقها ولم يزالا كذلك مرة بعد مرة فنظر لهما الشيخ إبراهيم وقال لهما أي شيء هذا وما هذه المنادمة لا تسقياني وقـ د صرت نديمكما فضحكا من كلامه إلى أن أغمى عليهما ثم شربا وسقياه ومازالوا في المنادمة إلى ثلث اللي ل فعند ذلك قالت الجارية يا شيخ إبراهيم عن أذنك هل أقوم وأوقد شمعة من هذا الشمع المصفوف فقـ ال لهـ ا قومي ولا توقدي إلا شمعة واحدة فنهضت على قدميها وابتدأت من أول الشمع إلى أن أوقده ثمانين شمعة ثم قعدت وبعد ذلك قال نور الدين يا شيخ إبراهيم وأنا أي شيء حظي عندك أما تخليني أوقد قنديلاً مـ ن هـ ذه القناديل فقال له الشيخ إبراهيم قم وأوقد قنديلاً واحداً ولا تتثاقل أنت الآخر فقام وابتدأ من أولها إلى أن أوقـ د ثمانين قنديلاً فعند ذلك رقص المكان فقال لهما الشيخ إبراهيم وقد غلب عليه السكر أنتما أخرع مني ثم أنـ ه نهض على قدميه وفتح الشبابيك جميعاً وجلس معهما يتنادمون ويتناشدون الأشعار وابتهج بهم المكان فقـ در الله السميع العليم الذي جعل لكل شيء سبباً أن الخليفة كان في تلك الساعة جالساً في الشبابيك المطلـ ة علـ ى ناحية الدجلة في ضوء القمر فنظر إلى تلك الجهة فرأى ضوء القناديل والشموع في البحر ساطعاً فلاحت من الخليفة التفاته إلى القصر الذي في البستان فرآه يلهج من تلك الشموع والقناديل فقال علي بجعفر البرمكي فما كان إلا لحظة وقد حضر جعفر بين يدي أمير المؤمنين فقال له يا كلب الوزراء أتخدمني ولم تعلمنـ ي بمـ ا يحصل في مدينة بغداد فقال له جعفر وما سبب هذا الكلام فقال لولا أن مدينة بغداد أخذت مني ما كان قصر الفرجة مبتهجاً بضوء القناديل والشموع وانفتحت شبابيكه ويلك من الذي يكون له قدرة على هذه الفعال إلا إذا كانت الخلافة أخذت مني فقال جعفر وقد ارتعدت فرائصه ومن أخبرك بأن قصر الفرجة أوقدت فيه القناديـ ل والشموع وفتحت شبابيكه فقال له تقدم عندي وانظر فتقدم جعفر عند الخليفة ونظر ناحية البستان فوجد القصر كأنه شعلة نار نورها غلب على نور القمر فأراد جعفر أن يعتذر عن الشيخ إبراهيم الخولي ربما هذا الأمـ ر بإذنه لما رأى فيه من المصلحة فقال يا أمير المؤمنين كان الشيخ إبراهيم في الجمعة التي مضت قال لي يـ ا سيدي جعفر أني أريد أن أفرح أولادي في حياتك وحياة أمير المؤمنين فقلت له وما مرادك بهذا الكلام فقـ ال لي مرادي أن أخذ لي أذناً من الخليفة بأني أظاهر أولادي في القصر فقلت له افعل ما شئت من فرح أولادك وإن شاء الله اجتمع بالخليفة وأعلمه بذلك فراح من عندي على هذا الحال ونسيت أن أعلمك فقال الخليفة يـ ا جعفر كان لك عندي ذنب واحد فصار لك عندي ذنبان لأنك أخطأت من وجهين الوجه الأول أنك ما أعلمتني بذلك والوجه الثاني أنك بلغت الشيخ إبراهيم مقصوده فإنه ما جاء إليك وقال لك هذا الكلام إلا تعريضاً بطلب شيء من المال يستعين به على مقصوده فلم تعطه شيئاً ولم تعلمني حتى أعطيه فقال جعفر يا أمير المـ ؤمنين نسيت فقال الخليفة وحق أبائي وأجدادي ما أتم بقية ليلتي إلا عنده فإنه رجل صالح يتردد إليه المشايخ ويحتفل بالفقراء ويواسي المساكين وأظن أن الجميع عنده في هذه الليلة فلابد من الذهاب إليه لعل واحد منهم يدعو لنا

دعوة يحصل لنا بها خيري الدنيا والآخرة وربما يحصل له نفع في هذا الأمر بحضوري ويفرح بـ ذلك هـ و واجباً به فقال جعفر يا أمير المؤمنين أن معظم الليل قد مضى وهم في هذه الساعة على وجـ ه الانفضـ اض فقال الخليفة لابد من الرواح عنده فسكت جعفر وتحير في نفسه وصار لايدري فنهض الخليفة علـ ى قدميـ ه وقام جعفر بين يديه ومعهما مسرور الخادم ومشي الثلاثة متنكرين ونزلوا من القصر وجعلوا يشـ قون فـ ي الأزقة وهم في زي التجار إلى أن وصلوا إلى البستان المذكور فتقدم الخليفة فرأى البستان مفتوحـ اً فتعجـ ب وقال انظر الشيخ إبراهيم كيف خلى الباب مفتوحاً إلى هذا الوقت وما هي عادته ثم أنهم دخلوا إلى أن انتهوا إلى آخر البستان وقفوا تحت القصر فقال الخليفة يا جعفر أريد أن أتسلل عليهم قبل أن اطلع عنـ دهم حتـ ى انظر ما عليه المشايخ من النفحات وواردات الكرمات فإن لهم شؤونا في الخلوات والجلوات لأننـ ا الآن لـ م نسمع لهم صوتاً ولم نرا لهم أثراً ثم أن الخليفة نظر فرأى شجرة جوز عالية فقال يا جعفر أريد أن اطلع على هذه الشجرة فإن فروعها قريبة من الشبابيك وانظر إليهم ثم أن الخليفة طلع فوق الشجرة ولم يزل يتعلق مـ ن فرع إلى فرع حتى وصل إلى الفرع الذي يقابل الشباك وقعد فوقه ونظر من شباك القصـ ر فـ رأي صـ بية وصبياً كأنهما قمران سبحان من خلقهما ورأى الشيخ إبراهيم قاعداً وفي يده قدح وهو يقول يا سيدة المـ لاح الشرب بلا طرب غير فلاح ألم تسمعي قول الشاعر:

أدرهـ . . ـا بـ . . ـالكبير وبالصـ . . ـغير وخـ . ذها مـ . ـن يـ . ـد القمـ . ـر المنيـ . ـر

ولا تشـ . ـرب بـ . ـلا طـ . ـرب فـ . ـأني رأيـ . ـت الخيـ . ـل تشـ . ـرب بالصـ . ـفير

فلما عاين الخليفة من الشيخ إبراهيم هذه الفعال قام عرق الغضب بين عينيه ونزل وقال يا جعفر أنا ما رأيت شيئاً من كرمات الصالحين مثل ما رأيت في هذه الليلة فاطلع أنت الآخر على هذه الشجرة وانظر لئلا تفوتك بركات الصالحين فلما سمع جعفر كلام أمير المؤمنين صار متحيراً في أمره وصعد إلى أعلى الشجرة وإذا به نظر فرأى على نور الدين والشيخ إبراهيم والجارية وكان الشيخ إبراهيم في يده القدح فلمـ ا عـ اين جعفر تلك الحالة أيقن بالهلاك ثم نزل فوقف بين يدي أمير المؤمنين فقال الخليفة يا جعفر الحمـ د لله الـ ذي جعلنا من المتبعين لظاهر الشريعة المطهرة وكفانا شر تلبيات الطريقة المزورة فلم يقدر جعفر أن يتكلم مـ ن شدة الخجل ثم نظر الخليفة إلى جعفر وقال يا هل ترى من أوصل هؤلاء إلى هذا المكان ومن أدخلهم قصري ولكن مثل هذا الصبي وهذه الصبية ما رأت عيني حسناً وجمالاً وقداً وأعتدالاً مثلهما فقال جعفر وقد استرجى رضا الخليفة صدقت يا أمير المؤمنين فقال يا جعفر اطلع بنا على هذا الفرع الذي هو مقابلهم لنتفرج علـ يهم فطلع الأثنان على الشجرة ونظراهما فسمع الشيخ إبراهيم يقول يا سيدتي قد تركت الوقار بشرب العقـ ار ولا يلذ ذلك إلا بنغمات الأوتار فقالت له أنيس الجليس يا شيخ إبراهيم والله لو كان عندنا شيء من آلات الطـ رب لكان سرورنا كاملاً فلما سمع الشيخ إبراهيم كلام الجارية نهض قائماً على قدميه فقال الخليفة لجعفر يا تـ رى ماذا يريد أن يعمل فقال جعفر لا أدري فغاب الشيخ إبراهيم وعاد ومعه عوداً فتأمله الخليفة فإذا هـ و عـ ود أسحق النديم فقال الخليفة والله أن غنت الجارية ولم تحسن الغناء صلبتكم كلكم وأن غنت وأحسنت الغناء فإني أعفوا عنهم وأصلبك أنت فقال جعفر اللهم اجعلها لا تحسن الغناء فقال الخليفة لأي شـ يء فقـ ال لأجـ ل أن

تصلبنا كلنا فيؤانس بعضنا بعضاً فضحك الخليفة وإذا بالجارية أخذت العود وأصلحت أوتاره وضربت ضرباً يذيب الحديد ويفطن البليد وجعلت تنشد هذه الأبيات:

أضـ .حى الشـ .ائي بـ .ديلاً مـ .ن تـ .دانينا ... وتـ .ـاب عـ .ـن طيـ .ـب دنيانـ .ـا تجافينـ .ـا

بنـ .ـتم وبنـ .ـا فمـ .ـا أبتلـي .ـت جوانحنـ .ـا ... شـ .وقاً إلـ .يكم ولا جفـ .ـت مآقينـ .ـا

غيظ العدا مـ .ن تسـ .ـاقينا الهـ .وى فـ .ـدعوا ... بـ .ـان نقـ .ـص فقـ .ـل الـ .دهر آمينـ .ـا

مـ .ـا الخـ .وف أن تقتلونـ .ـا فـ .ـي مذ .ـازلكم ... وأنتـ .ـم خوفنـ .ـا أن تـ .ـائموا فينـ .ـا

فقال الخليفة والله يا جعفر عمري ما سمعت صوتاً مطرباً مثل هذا فقال جعفر لعل الخليفة ذهب مـ .ـا عنده من الغيظ قال نعم ذهب ثم نزل من الشجرة هو وجعفر ثم التفت إلى جعفر وقال أريد أن أطلع وأجلس عندهم واسمع الصبية تغني قدامي فقال يا أمير المؤمنين إذا طلعت عليهم ربما تكدروا وأما الشيخ إبراهيم فإنه يموت من الخوف فقال الخليفة يا جعفر لابد أن تعرفني حيلة أحتال بها على معرفة حقيقة هذا الأمر من غير أن يشعروا باطلاعنا عليهم ثم أن الخليفة هو وجعفر ذهبا إلى ناحية الدجلة وهما متفكران في هذا الأمر وإذا بصياد واقف يصطاد وكان الصياد تحت شبابيك القصر فرمي شبكته ليصطاد ما يقتات به وكان الخليفة سابقاً صاح على الشيخ إبراهيم وقال له ما هذا الصوت الذي سمعته تحت شبابيك القصر فقال له الشيخ إبراهيم صوت الصيادين الذين يصطادون السمك فقال انزل وامنعهم من ذلك الموضع فامتنع الصيادون من ذلك الموضع فلما كانت تلك الليلة جاء صياد يسمى كريماً ورأى باب البستان مفتوحاً فقال في نفسه هذا وقت غفله لعلي استغنم في هذا الوقت صيداً ثم أخذ شبكته وطرحها في البحر وصار ينشد هذه الأبيات:

يا راكب البحـ .ـر فـ .ـي الأهـ .وال والهلكـ .ـه ... أقصر عنـ .ـاك فلـ .ـيس الـ .رزق بالحركـ .ـة

أمـ .ـا تـ .ـرى البحـ .ـر والصـ .ـياد منتصـ .ـب ... فـ .ـي ليلـ .ـة ونجـ .ـوم الليـ .ـل محتبكـ .ـة

قـ .ـد مـ .ـد أطنابـ .ـه والمـ .ـوج يلطمـ .ـه ... وعينـ .ـه لـ .ـم تـ .ـزل فـ .ـي كلـ .ـل الشـ .ـبكة

حتـ .ـى إذا بـ .ـات مسـ .ـروراً بهـ .ـا قرحـ .ـاً ... والحوت قد حط في فـ .ـخ الـ .ردى حنكـ .ـه

وصـ .ـاحب القصـ .ـر أمسـ .ـى فيـ .ـه ليلتـ .ـه ... مـ .ـنعم البـ .ـال فـ .ـي خيـ .ـر مـ .ـن البركـ .ـة

وصـ .ـار مسـ .ـتيقظاً مـ .ـن بعـ .ـد قدرتـ .ـه ... لكـ .ـن فـ .ـي ملكـ .ـه ظبيـ .ـا وقـ .ـد ملكـ .ـه

سـ .ـبحان ربـ .ـي يعطـ .ـي ذا ويمنـ .ـع ذا ... بعـ .ـض يصـ .ـيد وبعـ .ـض يأكـ .ـل السـ .ـمكة

فلما فرغ من شعره وإذا بالخليفة وحده واقف على رأسه فعرفه الخليفة فقال له يا كريم فالتفت إليه مـ .ـا سمعه سماه بأسمه فلما رأى الخليفة ارتعدت فرائصه وقال والله يا أمير المؤمنين ما فعلته استهزاءً بالمرسوم ولكن الفقر والعيلة قد حملاني على ما ترى فقال الخليفة اصطاد على بختي فنقدها الصبية وقد فرح فرحاً شديداً وطرح الشبكة وصبر إلى أن أخذت حدها وثبتت في القرار ثم جذبها إليه فطلع فيها من أنواع السمك مالا يحصى ففرح بذلك الخليفة فقال يا كريم اقلع ثيابك فقلع ثيابه وكانت عليه جبة فيها مائة رقعة من الصوف الخشن وفيها من القمل الذي له أذناب ومن البراغيث ما يكاد أن يسير بها على وجه الأرض وقلع عمامته من فوق رأسه وكان له ثلاث سنين ما حلها وأنما كان إذا رأى خرقة لفها عليه فلما قلع الجبة والعمامة خلع الخليفة من فوق جسمه ثوبين من الحرير الاسكندراني والبعلبكي وملوطة وفرجية ثم قال

للصياد خذ هذه وألبسها ثم لبس الخليفة جبة الصياد وعمامته ووضع على وجهه لثاما ثم قال للصياد رح أنت إلى شغلك فقبل رجل الخليفة وشكره وأنشد هذين البيتين:

أوليتنـ . ي مـ . الا لا أقـ . وم بشـ . كره وكفيتنـ . ي كـ . ل الأمـ . ور بأسـ . رها

فـ .لا شـ .كرنك مـ .ا حييـ .ت وأن مـ .ت شـ .كرتك منـ .ي عظمـ .ي فـ .ي قبرهـ .ا

فلما فرغ الصياد من شعره حتى جال القمل على جلد الخليفة فصار يقبض بيده اليمين والشـ مال مـ ن على رقبته ويرمي ثم قال يا صياد ويلك ما هذا القمل الكثير في هذه الجبة فقال يا سيدي أنه في هذ السـ اعة يؤ الملك فإذا مضت عليك جمعة فإنك لا تحسن به ولا تفكر فيه فضحك الخليفة وقال له ويلك كي ف أخل ي هذه الجبة على جسدي فقال الخليفة أني أشتهي أن أقول لك كلاماً ولكن استحي من هيبة الخليفة فقال له قل ما عندك فقال له قد خطر ببالي يا أمير المؤمنين أنك أن أردت أن تتعلم الصيد لأجل أن تكون في يدك صـ نعة تنفعك فإن أردت ذلك يا أمير المؤمنين فإن هذه الجبة تناسبك فضحك الخليفة من كلام الصياد ثم ولى الصياد إلى حال سبيله وأخذ الخليفة مقطف السمك ووضع فوقه قليلاً من الحشيش وأتى به إلى جعفر ووقف بين يديه فأعتقد جعفر أنه كريم الصياد فخاف عليه وقال يا كريم ما جاء بك هنا أنج بنفسك فإن الخليفة هنا فـ ي هـ ذه الساعة فلما سمع الخليفة كلام جعفر ضحك حتى استلقى على قفاه فقال جعفر لعلك مولانا أمير المؤمنين فقال الخليفة نعم يا جعفر وأنت وزيري وجئت أنا وأياك هنا وما عرفتني فكيف يعرفني الشيخ إبراهيم وهو سكران فكن مكان حتى أرجع إليك فقال جعفر سمعاً وطاعة ثم أن الخليفة تقدم إلى باب القصر ودقـ ه فقـ ام الشـ يخ إبراهيم وقال من بالباب فقال له أنا يا شيخ إبراهيم قال له من أنت قال له أنا كريم الصياد وسمعت أن عندك أضياناً فجئت إليك بشيء من السمك فإنه مليح وكان نور الدين هو والجارية يحبان السمك فلما سـ معا ذكـ ر السمك فرحا به فرحاً شديداً وقالا يا سيدي افتح له ودعه يدخل لنا عندك بالسمك الذي معـ ه ففـ تح الشـ يخ إبراهيم الباب فدخل الخليفة وهو في صورة الصياد وابتدأ بالسلام فقال هل الشيخ إبراهيم أهلاً باللص السارق المقامر تعال أرنا السمك الذي معك فأراهم أياه فلما نظروه فإذا هو حي يتحرك فقالت الجارية والله يا سـ يدي أن هذا السمك مليح يا ليته مقلى فقال الشيخ إبراهيم والله صدقت ثم قال للخليفة يا صياد ليتـ ك جئـ ت بهـ ذا السمك مقلياً قم فأقله لنا وهاته فقال الخليفة على الرأس أقليه وأجيء به فقال له عجل بقليه والأتيان بـ ه فقـ ام الخليفة يجري حتى وصل إلى جعفر وقال يا جعفر طلبوا السمك مقلياً فقال يا أمير المؤمنين هاته وأنا أقلي ه فقال الخليفة وتربة آبائي وأجدادي ما يقليه إلا أنا بيدي ثم أن الخليفة ذهب إلى خص الخولي وفتش فيه فوجد فيه كل شيء يحتاج إليه من آلة القلي حتى الملح والزعتر وغير ذلك فتقدم للكانون وعلق الطاجن وقلاه قلي اً مليحاً فلما استوى جعله على ورق الموز وأخذ من البستان ليموناً وطلع بالسمك ووضعه بين أي ديهم فتقـ دم الصبي والصبية والشيخ إبراهيم وأكلوا فلما فرغوا غسلوا أيديهم فقال نور الدين والله يا صياد أنك صـ نعت معنا معروفاً هذه الليلة ثم وضع يده في جيبه وأخرج له ثلاثة دنانير من الدنانير التي أعطاه أياها سنجر وقت خروجه للسفر وقال يا صياد أعذرني فو الله لو عرفتك قبل الذي حصل لي سابقاً لكنت نزعت مرارة الفقـ ر من قلبك لكن خذ هذا بحسب الحال ثم رمى الدنانير للخليفة فأخذها وقبلها ووضعها في جيبه وما كان مـ راد الخليفة بذلك إلا السماع من الجارية وهي تغني فقال الخليفة أحسنت وتفضلت لكن مـ رادي مـ ن تصـ دقاتك

العميمة أن هذه الجارية تغني لنا صوتاً حتى أسمعها فقال على نور الدين ياأنيس الجليس قالت نعم قال لها وحياتي أن تغني لنا شيئاً من شأن خاطر هذا الصياد لأنه يريد أن يسمعك فلما سمعت كلام سيدها أخذت العود وغمزته بعد أن فركت أذنه وأنشدت هذين البيتين:

وغ . ادت لعب . ة بـ . العود أنملها . ا فعـ ادت الـ نفس عنـ ـد الجـ س تخـ .تلس
قد أسـ معت بالأغـ اني مـ ن بـ ـه صـ مم وقال أحسـ نت مغنـ ى مـ ن بـ ـه خـ رس

ثم أنها ضربت ضرباً غريباً إلى أن أذهلت العقول فقال نور الدين يا صياد هل أعجبتك الجارية وتحريكها الأوتار فقال الخليفة أي والله فقال نور الدين هي هبة مني إليك هبة كريم لا يرجع في عطائه ثم أن نور الدين نهض قائماً على قدميه وأخذ ملوطة ورماها على الخليفة وهو في صورة الصياد وأمره أن يخرج ويروح بالجارية فنظر الجارية إليه وقالت يا سيدي هل أنت رائح بلا وداع أن كان ولابد فقف حتى أودعك وأنشدت هذين البيتين:

لـ .ئن غبتم .وا عنـ .ي فـ .إن محلكـ .م لفـ ـي مهجتـ ـي بـ ـين الجـ ـوانح والحشـ ـا
وأرجـ ـو مـ ـن الـ رحمن جمعـ ـاً لشـ ـملنا وذلـ .ك فضـ .ل الله يؤتيـ .ـه مـ .ن يشـ .أ

فلما فرغت من شعرها أجابها نور الدين وهو يقول:

ودعتـ . ـي يـ . ـوم الفـ . راق وقالـ . ـت وهـ .ـي تبكـ .ـي مـ .ـن لوعـ .ـة وفـ .راق
مـ ـا الـ .ذي أذنـ ـت صـ ـانع بعـ ـد بعـ ـدي قلـ .ـت قـ .ولي هـ .ذا لمـ .ـن هـ .ـو بـ .اقي

ثم أن الخليفة لما سمع ذلك صعب عليه التفريق بينهما والتفت إلى الصبي وقال له يا سيدي نور الدين اشرح لي أمرك فأخبره نور الدين بحاله من أوله إلى آخره فلما فهم الخليفة هذا الحال قال له أين تقصد في هذه الساعة قال له بلاد الله فسيحة فقال له الخليفة أنا أكتب لك ورقة توصلها إلى السلطان محمد ابن سليمان الزيني فإذا قرأها لا يضرك بشيء وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة لما قال لعلي نور الدين أنا أكتب لك ورقة توصلها إلى السلطان محمد بن سليمان الزيني فإذا قرأها لا يضرك بشيء فقال له علي نور الدين وهل في الدنيا صياد يكاتب الملوك أن هذا شيء لا يكون أبداً فقال له الخليفة صدقت ولكن أنا أخبرك بالسبب اعلم أني أنا قرأت أنا وأياه في مكتب واحد عند فقيه وكنت أنا عريفه ثم أدركته السعادة وصار سلطاناً وجعلني الله صياداً ولكن لم أرسل إليه في حاجة إلا قضاها ولو أدخلت إليه في كل يوم من شأن ألف حاجة قضاها فلما سمع نور الدين كلامه قال له اكتب حتى أنظر فأخذ دواة وقلما وكتب بعد البسملة أما بعد فإن هذا الكتاب من هارون الرشيد بن المهدي إلى حضرة محمد بن سليمان الزيني المشمول بنعمتي الذي جعلته نائباً عني في بعض مملكتي أعرفك أن الموصل إليك هذا الكتاب نور الدين بن خاقان الوزير فساعة وصوله عندكم تنزع نفسك من الملك وتجلسه مكانك فإني قد وليته على ما كنت وليتك عليه سابقاً فلا تخالف أمري والسلام ثم أعطى علي نور الدين ابن خاقان الكتاب فأخذه نور الدين وقبله وحطه في عمامته ونزل في الوقت مسافراً وطلع قصر السلطان ثم صرخ صرخة عظيمة فسمعه السلطان فطلبه فلما حضر بين يديه قبل الأرض قدامه ثم أخرج له

الورقة وأعطاه إياها فلما رأى عنوان الكتاب بخط أمير المؤمنين قام واقفاً على قدميه وقبلها ثلاث مرات وقال السمع والطاعة لله تعالى ولأمير المؤمنين ثم أحضر القضاة الأربعة والأمراء وأراد أن يخلع نفسه من الملك وإذا بالوزير المعين بن ساوى قد حضر فأعطاه السلطان ورقة أمير المؤمنين فلما قرأها قطعها عن آخرها وأخذها في فمه ومضغها ورماها فقال له السلطان وقد غضب ويلك ما الذي حملك على هذه الفعال قال له هذا ما اجتمع بالخليفة ولا بوزيره وأنما هو علق شيطان مكان وقع ورقة فيها خط الخليفة فزورها وكتب فيها ما أراد فلأي شيء تعزل نفسك من السلطنة مع أن الخليفة لم يرسل إليك رسولاً بخط شريف ولو كان هذا الأمر صحيحاً لأرسل معه حاجباً أو وزيراً لكنه جاء وحده فقال له وكيف العمل قال له أرسل معي هذا الشاب وأنا آخذه وأتسلمه منك وأرسله صحبه حاجب إلى مدينة بغداد فإن كان كلامه صحيحاً يأتينا بخط شريف وتقليد وأن كان غير صحيح ترسلوه إلينا مع الحاجب وأنا آخذ حقي من غريمي فلما سمع السلطان كلام الوزير ودخل عقله صاح على الغلمان فطرحوه وضربوه إلى أن أغمى عليه ثم أمر أن يضعوا في رجليه قيداً وصاح على السجان فلما حضر قبل الأرض بين يديه وكان هذا السجان يقال له قطيط فقال له يا قطيط أريد أن تأخذ هذا وترميه في مطمورة من المطامير التي عندك في السجن وتعاقبه بالليل والنهار فقال له السجان سمعاً وطاعة ثم أن السجان أدخل نور الدين في السجن وقفل عليه الباب ثم أمر بكنس مصطبة وراء الباب وفرشها بسجادة أو مخدة وأقعد نور الدين عليها وفك قيده وأحسن إليه وكان كل يوم يرسل إلى السجان ويأمره بضربه والسجان يظهر أنه يعاقبه وهو يلاطفه ولم يزل كذلك مدة أربعين يوماً فلما كان اليوم الحادي والأربعون جاءت هدية من عند الخليفة فلما رآها السلطان أعجبته فشاور الوزراء في أمرها فقال لعل هذه الهدية كانت للسلطان الجديد فقال الوزير المعين ابن ساوي لقد كان المناسب قتله وقت قدومه فقال السلطان والله لقد ذكرتني به أنزل هاته وأضرب عنقه فقال الوزير سمعاً وطاعة فقام وقال له أن قصدي أن أنادي في المدينة من أراد أن يتفرج على ضرب رقبة نور الدين علي بن خاقان فليأت إلى القصر فيأتي جميع الناس ليتفرجوا عليه لاشفي فؤادي وأكمد حسادي فقال له السلطان افعل ما تريد فنزل الوزير وهو وفرحان مسرور وأقبل على الوالي وأمره أن ينادي بما ذكرنا فلما سمع الناس المنادي حزنوا وبكوا واجتمعا حتى الصغار في المكاتب والسوقة في دكاكينهم وتسابق الناس يأخذون لهم أماكن ليتفرجوا فيها وذهب بعض الناس إلى السجن حتى يأتي معه ونزل الوزير ومعه عشرة مماليك إلى السجن ثم أنهم نادوا علي نور الدين هذا أقل جزاء من يزور مكتوباً على الخليفة إلى السلطان ولازالوا يطوفون به في البصرة إلى أن أوقفوه تحت شباك القصر وجعلوه في منقع الدم وتقدم إليه السياف وقال له أنا عبد مأمور فإن كان لك حاجة فأخبرني بها حتى أقضيها لك فإنه ما بقي من عمرك إلا قدر ما يخرج السلطان وجهه من الشباك فعند ذلك نظر يميناً وشمالاً وأنشد هذه الأبيات:

فهل فيكم خل شفيق يعينني ... سألتكم بالله رد جوابي

مضى الوقت من عمري وحانت منيتي ... فهل راحم لي كي ينال ثوابي

وينظر في حالي ويكشف كربتي ... بشربة ماء كي يهون عذابي

فتباكت الناس عليه وقام السياف وأخذ شربة ماء يناوله أياها فنهض الوزير من مكانه وضرب قلة الماء بيده فكسرها وصاح على السياف وأمره بضرب عنقه فعند ذلك عصب عيني علي نور الدين فصاح الناس على الوزير وأقاموا عليه الصراخ وكثر بينهم القيل والقال فبينما هم كذلك وإذا بغبار قد علا وعج ملأ الجو والفلا فلما نظر إليه السلطان وهو قاعد في القصر قال انظر وأما الخبر فقال الوزير حتى نضرب عنق هذا قبل فقال له السلطان أصبر أنت حتى تنظر الخبر وكان ذلك الغبار غبار جعفر وزير الخليفة ومن معه وكان السبب في مجيئهم أن الخليفة مكث ثلاثين يوماً لم يتذكر قصة علي بن خاقان ولم يذكرها له أحد إلى أن جاء ليلة من الليالي إلى مقصورة أنيس الجليس فسمع بكاءها وهي تنشد بصوت رقيق قول الشاعر:

خيال . ك ف . ي التباع . د والت . داني وذك . . .رك لا يفارق . . .ه لس . . .اني

وتزايد بكاؤها وإذا قد فتح الباب ودخل المقصورة فرأى أنيس الجليس وهي تبكي فلما رأت الخليفة وقعت على قدميه وقبلتهما ثلاث مرات ثم أنشدت هذين البيتين:

أي . امن زك . ا أصد . لا وط . اب ولادة وأثم .ر غصن .ناً يانع .اً وزك .ا جنس .اً

أذك .رك الوع .د الذي س .مت به .ه محاس .نك الحس .نا وحاش .اك أن تنس .ى

فقال الخليفة من أنت قالت أنا هدية علي بن خاقان إليك وأريد إنجاز الوعد الذي وعدتني به من أنك ترسلني إليه مع التشريف والآنم لي هنا ثلاثون يوماً لم أذق طعم النوم فعند ذلك طلب الخليفة جعفر البرمكي وقال من منذ ثلاثين يوماً لم أسمع بخبر علي بن خاقان وما أظن إلا أن السلطان قتله ولكن وحياة رأسي وتربة آبائي وأجدادي أن كان جرى له أمر مكروه لا هلكن من كان سبباً فيه ولو كان أعز الناس عندي وأريد أن تسافر أنت في هذه الساعة إلى البصرة وتأتي بأخبار الملك محمد بن سليمان الزيني مع علي بن خاقان فأمتثل أمره وسافر فلما أقبل جعفر نظر ذلك الهرج والمرج والازدحام فقال الوزير جعفر ربما هذا الازدحام فذكروا له ما هم فيه من أمر علي نور الدين بن خاقان فلما سمع جعفر كلامهم أسرع بالطلوع إلى السلطان وسلم عليه وأعلمه بما جاء فيه وأنه إذا كان وقع لعلي نور الدين أمر مكروه فإن السلطان يهلك من كان السبب في ذلك ثم أنه قبض على السلطان والوزير المعين بن ساوي وأمر بإطلاق علي نور الدين بن خاقان وأجلسه سلطانا في مكان السلطان محمد بن سليمان الزيني وقعد ثلاثة أيام في البصرة مدة الضيافة فلما كان صبح اليوم الرابع التفت علي بن خاقان إلى جعفر وقال أني اشتقت إلى رؤية أمير المؤمنين فقال جعفر للملك محمد بن سليمان تجهز للسفر فأننا نصلي الصبح ونتوجه إلى بغداد فقال السمع والطاعة ثم أنهم صلوا الصبح وركبوا جميعهم ومعهم الوزير المعين بن ساوى وصار يتندم على فعله وأما علي نور الدين بن خاقان فإنه ركب بجانب جعفر ومازالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى بغداد دار السلام وبعد ذلك دخلوا على الخليفة فلما دخلوا عليه حكوا له قصة نور الدين فعند ذلك أقبل الخليفة علي علي بن خاقان وقال له خذ هذا السيف وأضرب به رقبة عدوك فأخذه وتقدم لي المعين بن ساوى فنظر إليه وقال أنا عملت بمقتضى طبيعتي فأعمل أنت بمقتضى طبيعتك فرمى السيف من يده ونظر إلى الخليفة وقال يا أمير المؤمنين أنه خدعني وأنشد قول الشاعر:

فخدعت . .ه بخديع . .ة لم . .ا أت . .ى والحر يخدع . ه الك . لام الطيب

فقال الخليفة أتركه أنت ثم قال لمسرور يا مسرور قم أنت واضرب رقبته فقام مسرور ورمى رقبة ه فعند ذلك قال الخليفة لعلي بن خاقان تمن علي فقال له يا سيدي أنا مالي حاجة بملك البصرة وم ا أري د إلا مشاهدة وجه حضرتك فقال الخليفة حباً وكرامة ثم أن الخليفة دعا بالجارية فحضرت بين يديه فأنعم عليهم ا وأعطاهما قصراً من قصور بغداد ورتب لهما مرتبات وجعله من ندمائه ومازال مقيماً عنده إلى أن أدرك ه الممات وليس هذا بأعجب من حكاية التاجر وأولاده قال الملك وكيف ذلك.

(حكاية التاجر أيوب وابنه غانم وبنته فتنة)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان تاجر من التجار له مال وله ولدكانه البدر ليلة تمامه فصيح اللسان يسمه غانم بن أيوب المتيم المسلوب وله أخت أسمها فتنة من فرط حسنها وجمالها فتوفي والدهما وخلف لهما مالاً جزيلاً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ذلك التاجر خلف لهما مالاً جزيلاً ومن جملة ذلك مائة حمل من الخز والديباج ونوافج المسك ومكتوب على الأحمال هذا بقصد بغداد وكان مراده أن يسافر إلى بغداد فلما توفاه الله تعالى ومضت مدة أخذ ولده هذه الأحمال وسافر بها إلى بغداد وكان ذلك في زمن هارون الرشيد وودع أم ه وأقاربه وأهل بلدته قبل سيره وخرج متوكلاً على الله تعالى وكتب الله له السلامة حتى وصل إلى بغداد وكان مسافراً صحبة جماعة من التجار فاستأجر له داراً حسنة وفرشها بالبسط والوسائد وأرخ ى عليها ا الس تور وأنزل فيها تلك الأحمار والبغال والجمال وجلس حتى استراح وسلم عليه تجار بغداد وأكابرها ثم أخذ بقج ة فيها عشرة تفاصيل من القماش النفيس مكتوب عليها أثمانها ونزل بها إلى سوق التجار فلاقوه وسلموا علي ه وأكرموه وتلقوه بالترحيب وأنزلوه على دكان شيخ السوق وباع التفاصيل فربح في كل دينار دينارين ففر رح غانم وصار يبيع القماش والتفاصيل شيئاً فشيئاً ولم يزل كذلك سنة وفي أول السنة الثانية جاء إلى ذلك السوق فرأى بابه مقفولاً فسأل عن سبب ذلك فقيل له أنه توفي واحد من التجار وذهب التجار كلهم يمشون في جنازته فهل لك أن تكسب أجراً وتمشي معهم قال نعم ثم سأل عن محل الجنازة فدلوه عن المحل فتوضأ ثم مشي مع التجار إلى أن وصلوا المصلى وصلوا على الميت ثم مشي التجار جميعهم قدام الجنازة إلى المقبرة فتبعهم غانم إلى أن وصلوا بالجنازة إلى المقبرة خارج المدينة ومشوا بين المقابر حتى وصلوا إلى المدفن فوجدوا أهل الميت نصبوا على القبر خيمة وأحضروا الشموع والقناديل ثم دفنوا الميت وجلس القراء يقرءون على ذلك القبر فجلس التجار ومعهم غانم بن أيوب وهو غالب عليه الحياء فقال في نفسه أنا لم أقدر على أن أفارقهم حتى انصرف معهم ثم أنهم جلسوا يسمعون القرآن إلى وقت العشاء فقدموا لهم العشاء والحلوى فأكلوا حتى اكتفوا وغسلوا أيديهم ثم جلسوا مكانهم فاشتغل خاطر غانم ببضاعته وخاف من اللصوص وقال في نفسه أنا رجل غريب ومتهم بالمال فإن بت الليلة بعيداً عن منزلي سرق اللصوص ما فيه من المال والأحمال وخاف على متاعه فقام وخرج من بين الجماعة وأستأذنهم على أنه يقضي حاجة فسار يمشي ويتتبع آثار الطريق حتى جاء إلى باب المدينة وكان ذلك الوقت نصف الليل فوجد باب المدينة مغلقاً ولم ير أحداً غادياً ولا رائحاً ولم يسمع صوتاً سوى نبيح الكلاب وعوى الذئاب فقال لا حول ولا قوة إلا بالله كنت خائفاً

حكاية علي نور الدين وأنيس الجليس

1_ البناء الفني للقصة:

أ_ البداية: وصف حالة الاستقرار التي كان يعيشها السلطان (محمد بن سليمان الزيني) في مملكته، إلى جانب وزيريه (المعين بن ساوي) و(الفضل بن خاقان)،حيث طلب من هذا الأخير البحث عن جارية بمواصفات معينة.

ب_ الحبكة: تتأزم الأحداث عند تدخل النخاس، حيث طلب من الوزير (الفضل بن خاقان) أن لا يرسل الجارية إلى السلطان، بل يتركها تستريح في بيته في مقصورة خاصة بها، وهذا ما أدى إلى تعلقها (الجارية) بابن الوزير (علي نور الدين).

ج_ الخاتمة: تدخل الخليفة (هارون الرشيد) وحل المعضلة، بإظهار الحق ومنح الزوجين (علي نور الدين وأنيس الجليس) قصرا من قصور بغداد للعيش فيه.

2_ الشخصيات:

توجد شخصيات كثيرة في حكاية (علي نور الدين وأنيس الجليس) وهي مقسم إلى قسمين:

أ_ شخصيات رئيسية: تمثلت في: أنيس الجليس، علي نور الدين، السلطان، الوزرين.

ب_ شخصيات ثانوية: السمسار، صاحب الفضل، الرس، الصياد، زوجة الوزير الفضل بن خاقان، النخاس...

3_ الفضاء المكاني:

نجد أن السارد يعطل حركة سير الأحداث، والاشتغال بآليات الوصف، ليقرب من تضاريس المكان ومميزاته، فالوصف كما يقول (قدامة بن جعفر): " هو محاكاة حرفية بأسلوب إنشائي لأشياء وأحوال وهيئات تقبع في العالم الخارجي، وتتم مشاهدتها بالعين المجردة، فالوصف غايته هو عكس هذه الصورة الخارجية المادية على صورة لغوية أدبية يشكلها جمال الأسلوب ورونق اللغة.

وتنقسم وظيفة الوصف إلى :

أ_ تزيينية: عندما تحتوي كلمات تزيينية جمالية.

ب_ تفسيرية رمزية: عندما يسعى لتوضيح مدلول معين.

وتتمثل أهمية الوصف في كونه:

أ_ يكسر رتابة السرد.

ب_ يحدث الاسترخاء والترويح عن النفس بعد عرض مجموعة من الأحداث المتتالية.

ج_ إحداث التوتر لدى القارئ عندما يقطع السرد في لحظة حرجة، مما يوّلد القلق والتشويق لدى المتلقي.

أهم الأمكنة في الحكاية:

أ_ مدينة بغداد: التي مثلت المكان الحميمي الذي التقى فيه الزوجين وعاش بهناء، فهذا المكان خلف أثر نفسي في الشخصيات، وقد تزامن وصولهما إلى بغداد عند انتهاء فصل الشتاء وبداية الربيع.

ب_ مدينة البصرة: مثلت المكان القاسي والمضطرب والكابوس المخيف للزوجين (علي نور الدين وأنيس الجليس).